

خزانة الأدب وغاية الأرب

وقنع الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من أشجار معاليه بالشميم فإنه ذكر بعض شواهد لم يأت له بحد تمشي الأفهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبي الأصبع أزال بكاره أشكاله وكان أبا عذرتة وأرضع الأذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الأول لأن الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا .

وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهزاء في معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة في الآخر يخالف معناها معنى الالتزام في الكلام الأول وهو في هذا دون الأول .
والشيخ صفي الدين نظم التهكم في بديعته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيان ولا غردت حمائم الإيضاح على أفنائه وبيته .

(محضني النصح إحسانا علي بلا ... غش وقلدتني الإنعام فاحتكم) .

ولم يظهر لي من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة في موضع الإنذار ولا على الوعد في موضع الوعيد ولم يشر في بيته إلى نوع من هذه الأنواع وقد تقدم أن العميان لم ينظموه في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين .

(لقد تهكمت فيما قد منحتك من ... قلبي بأنك ذو عز وذو كرم) .

فالشيخ عز الدين ذكر في بيته أنه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتي .

(ذل العذول بهم وجدا فقلت له ... تهكما أنت ذو عز وذو شمم) .

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل في موقف الذل هو التهكم بعينه